مجلة رسالة الحقوق ISSN-2032-2075
الإصدار 15 أغسطس / سبتمبر 2023
العدد الرابع

جدلية التخليق في تقنية الاستنساخ البشري.

The dialectic of synthesis in human cloning technology.

بحث مشترك مقدم من قبل
الاستاذ الدكتور حيدر حسين كاظم الشمري
المدرس عادل صالح مهدي
جامعة كربلاء / كلية القانون

الخلاصة.
شكلت تقنية الاستنساخ البشري جدلية كبيرة في مسالة مشروعيتها وكان من بين حجج المانعون انها تغير لخلق الله وهو مخالف لما ذهب اليه القائلون بالجواز حيث ان من بين أوجه الدفاع التي اثاروها بهذا الخصوص ان شخصية المولود المستنسخ هي مستقلة تماما عن شخصية المستنسخ ولعل من أهم هذه المواقف هو الموقف العقدي من الاستنساخ البشري والمشاكل الأخلاقية التي يثيرها الموضوع، اذ طرحت حول موضوع الاستنساخ البشري منذ ظهوره اشكالات عدة، ومنها ما يتعلق بجوانب ترتبط بالعقيدة وأخرى بالأخلاق، لأنه تصرف في الخلق الذي يختص بالله عز وجل وانه تغيير لخلقه مما اعتبره جمع انه شرك بالله تعالى، وكما عده جمع آخر انه من عمل الشيطان الذي أمرنا الله عز وجل باجتنابه، ولا ريب ان جميع ذلك قبيح عقلا، ومنهي عنه شرعا . وقد اثار موضوع الاستنساخ البشري بنوعيه جدلا واسعا في أوساط علماء الشريعة سواء في الاحكام الشرعية او ما يسبقها من قضايا عقائدية، اذ لاشك انه أمر حديث غير معروف لدى علماء الشريعة القدامى وكذلك المحدثون، فلما كان الاستنساخ أمر غير معروف لديهم فقد يبدو الامر وللوهلة الأولى ان تقنية الاستنساخ عمل من قبيل الخلق المختص بالله سبحانه وتعالى.

الكلمات المفتاحية : الاستنساخ البشري. الخلية. الجينات. الحامض النووي. والتخليق .

Abstract.
The technology of human cloning posed a great controversy in the matter of its legality, and among the arguments of those who opposed it was that it changes God's creation, which is contrary to what those who say it is permissible, as among the defenses they raised in this regard is that the personality of the cloned newborn is completely independent of the personality of the clone, and perhaps one of the most important of these positions It is the doctrinal position on human cloning and the ethical problems that the subject raises, as many problems have been raised on the subject of human cloning since its appearance, including those related to aspects related to belief and others to morals, because it is a behavior in the creation that is specific to God Almighty and that it is a change to his creation, which he considered collectively as shirk to God Exalted be He, and as another group considered it to be the work of Satan, which God Almighty commanded us to avoid. The issue of human cloning, in its two forms, has sparked a wide debate among Sharia scholars, whether in Sharia rulings or the doctrinal issues that precede it, as there is no doubt that it is a hadith that is unknown to ancient Sharia scholars as well as modern ones. Cloning technology is an act of creation related to God Almighty

Keywords: human cloning. cell. genes. DNA. and synthesis.

المقدمة.

أولًا/ فكرة البحث: منذ أن أعلن عن استنساخ النعجة دوللي وبدء الحديث عن إمكانية استنساخ البشر في نهاية القرن العشرين، وما ترتب على ذلك من جدلية ما اذا كان الاستنساخ يمثل خلق للبشر ام تخليق وهو الأساس الذي اعتمده اغلب الباحثين والمفتين في تأسيس الحكم الشرعي في جواز العملية من عدمها ؟

ثانيًا/ أهمية البحث: تتشكل أهمية الموضوع من ناحيتين ناحية نظرية وعملية، فمن الناحية النظرية تكمن الأهمية من خلال بيان الجدلية الفقهية في مسالة طبيعة الاستنساخ البشري وهل هي تدخل في خلق الله ام اثبات لوجود الله وهل ان الانسان هو من قام بالخلق ام انه تخليق وليس خلق على أساس ان الخالقية لله وحده. اما الجانب العملي فيكمن في التطرق الى اهم الحجج والاسانيد التي اجه اليها فقهاء المسلمين وباحثيه للاستدلال بواحده من مسالتي الخلق والتخليق والخلاصة التي توصلوا اليها.

ثالثًا/ اشكالية البحث: الإشكالية الأساسية تكمن فيما اذا كانت عملية الاستنساخ البشري هي خلق للإنسان ام تخليق؟ ولكن يترتب على هذه الإشكالية الأساس اشكاليات متفرعة أخرى فهناك الكثير من الأسئلة تدور في ذهن الإنسان عندما يسمع بالاستنساخ البشري، منها: هل يشكّل الاستنساخ البشري تحدّياً جديداً للبشرية، يحمل في طيّاته مخاطر أخلاقية واجتماعية وحقوقية استدعت كلّ هذا الجدل الذي يشهده العالم في الوقت الراهن؟ أم أنّه مجرد محاولاتٍ علمية لا تزال في بدايتها، ولم تمنح الفرصة الكافية لتعطي ثمارها التي يمكن أن تنفع الكثير من نظرائنا في الخلق ممّن يعانون من مشاكل أو نقصٍ في أعضائهم؟ وهل يمثل الاستنساخ في حدّ ذاته تجاوزاً للخطوط الحمراء التي رسمتها الأديان السماوية، والقوانين التي وضعها المشرّعون، وتعدّياً صارخاً على حقوق الإنسان؟ أم أنّ القضية لا تستدعي كلّ هذا القلق الذي ينتاب الإنسانية، بل كلّ ما في الأمر وضعه في إطارٍ قانونيٍّ وشرعي جديد يحدّد له مساحة التحرّك فيما هو مسموحٌ وممنوع؟

رابعا/ خطة البحث: حتى نحيط بموضوع بحثنا لابد ان نطوقها بخطة علمية تجمع تفاصيلها وكل شتاته، فرتاينا ان يتم تقسيمه على ثلاثة مباحث ، نتطرق في الاول الى مفهوم الاستنساخ البشري لنتعرف على ماهيته وأنواعه تمهيدا للولوج في المبحث الثاني الجدلية العقائدية في الاستنساخ والثالث نتطرق فيه الى /

المبحث الأول/ مفهوم الاستنساخ البشري.

تعد تقنية الاستنساخ البشري من المسائل المستحدثة التي رافقت التطور العلمي في أواخر العقد الأخير من القرن الماضي والتي اثارت جدلا واسعا بين مختلف الأوساط في مسالة مشروعيتها من عدمه الامر الذي ترتب عليه شبه اتفاق دولي على تجريمه لكنه اليوم قد اصبح برايانا في طي النسيان نظرا للتطورات التي حدثت في العالم مع بداية القرن الواحد والعشرين الميلادي جعلت منه مسالة أخرى قياسا بالمسائل المهمة التي تعرض لها العالم من حروب وازمات اقتصادية وصحيه. عليه قاننا سنبحث ذلك من خلال التطرق الى مفهوم الاستنساخ البشري في مطلبين، نبين في الاول ماهية الاستنساخ البشري، وفي الثاني أنواع الاستنساخ البشري:

المطلب الاول/ ماهية الاستنساخ البشري.

ان البحث في ماهية الاستنساخ البشري يتطلب منا التطرق الى عدة أمور ومن ثم لابد من تقسيمه على اربعة فروع، نبين في الاول التعريف اللغوي للاستنساخ وفي الفرع الثاني: التعريف الاصطلاحي، وأما الثالث: فنخصصه للتسمية، فيما نتطرق في الرابع الى مرتكزات الاستنساخ البشري

الفرع الاول/ التعريف اللغوي للاستنساخ البشري:

وقد ورد لفظ الاستنساخ في اللغة العربية بعدة معان منها:

أولا/ الازالة: نسخ الشيء نسخا اي أزاله. نسخت الشمس الظل اي ازالته، نسخت الريح الآثار اي قضيت على معالمها. نسخ الله الآيات اي أزال حكمها يقول الله تعالى في سورة البقرة: (ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير) (البقرة: 106).

ثانيا/ النقل: يقال نسخت الكتاب نسخا اذا نقلته حرفا بحرف، وكتاب منسوخ ومنتسخ اي منقول ، وتناسخت الأرواح اي انتقلت من أجسام الى أخرى.

فالاستنساخ لغة هو طلب النسخ، و النسخ لغة هو نقل الشيء من مكان لآخر. جاء في المعجم الصافي "النسخ اكتتابك كتابا عن كتاب حرفا بحرف و المكتوب عنه نسخة و الكاتب ناسخ و منتسخ و النسخ نقل الشيء من إلى مكان و هو هو"[1] ، و في المعجم الوسيط" نسخ الكتاب نقله و كتبه حرفا بحرف و استنسخ الكتاب طلب نسخة"[2] . وفي المنجد" انتسخ الكتاب نقله و استنسخ الشيء بمعنى نسخه أو طلب نسخه"[3] .وقد استخدم في القرآن والسنة تسميات قريبة من الموضوع حيث جاء في القرآن الكريم: (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم، بلى وهو الخلاق العليم) ، ودلالة كلمة (مثل) في الآية تشير الى معنى موضوع بحثنا. وأما السنة حيث جاء على لسان الامام الباقر (ع) انه قال: (من سعادة الرجل ان يكون له الولد يعرف فيه شبهه وخُلقه وخَلقه وشمائله) ، اذ نجد ان الإمام (ع) استخدم مصطلح (شبيه). ومن خلال ما تقدم يمكن ان نشير الى ان تسمية التشبيه او التمثيل هما أقرب الى المعنى المراد من غيرهما ليدرء الشبهات المحكمية عن الموضوع، اذ ان المصطلحان لا يخلوان من ادخال مفهوم الخلق ولو في مراتب متدنية، حيث الاستنسال عن النسل الحادث والاستنساخ يحكي عن السبب البعيد وهو الخلية الجسمية .

الفرع الثاني/ التعريف الاصطلاحي.

ظهر لفظ الاستنساخ باعتباره أحد فروع العلوم البيولوجية، وأحد مجالات الهندسة الوراثية التي هي التحكم في الرموز الوراثية للكائنات الحية. وقد أصبح هذا اللفظ يطلق على أمر علمي طبي بيولوجي مستحدث يقصد به توليد الكائنات الحية وايجاد نسخ نباتية لاو حيوانية او بشرية تتطابق مع الاصل وتتشابه معه كليا او جزئيا. وذلك على وفق طريقة علمية معينة وأسلوب جديد نوعا ما يخالف ما كان متعارفا في السابق من توليد كائن حي بموجب التلاقح بين البويضة والحيوان المنوي من خلال عملية الاتصال الجنسي المباشر بين الذكر والأنثى. وله أسماء عدة، منها: الاستنساخ، وهو أشهرها وأعمها. ومنها: التنسيل، ومعناه توليد نسائل متماثلة. ومنها التكاثر الخلوي او الجيني، وذلك بانشطار الخلية دون اي اتصال جنسي، والبرعم الوليد، وغير ذلك من الأسماء .يرتكز الاستنساخ البشري سواء كان طبيعيا او صناعيا على ركيزتين أساسيتين استخدمها العلماء للانطلاق في صناعة الاستنساخ البشري العلمي او الصناعي وهما ركيزتا الخلية والعناصر الجنسية:

أولا/ الخلية: جرت سنة الله تعالى في ان يتكون جسم الكائنات الحية من خلايا، وهي بمثابة مكونات البناء من الحجارة وهي خلايا زوجية، كما قال تعالى: (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)

ثانيا/ الخلية الجنسية: هي المني الذي تفرزه الخصية، والبويضة التي يفرزها المبيض، وهذه الخلية لها خاصية تتمثل في أنها في انقسامها الأخير لا تنشطر الى نصفين مثل الشريط الكروموزومي بل تبقى الأجسام الصبغية سليمة، ويذهب نصفها ليكون نواة خلية، والنصف الآخر ليكون نواة خلية، والنصف الآخر ليكون نواة خلية أخرى، فتكون نواة الخلية الجديدة مشتملة على 23 كروموزوما فردا، فإذا ألحقت ببويضة حيوان منوي فهذا يعني ان النواتين التحمتا في نواة واحدة فكونت 23 زوجا، 23 فردا من الحيوان المنوي، و23 فردا من البويضة .يتنوع الاستنساخ بحسب مجالاته وميادين العمل الى عدة انواع الى نباتي وحيواني وبشري! فالاستنساخ النباتي: وهو الواقع في عالم النبات. وأما الحيواني: هو الواقع في عالم الحيوانات، على غرار ما وقع في النعجة دوللي وفي غيرها من الحيوانات. تمهيدا لانتقاله الى البشر، وأما ما يخص بحثنا فهو الاستنساخ البشر، وهو الذي يتوقع حصوله، او يلوح بحصوله في عالم البشر. وهذا الأخير بذاته ينقسم الى ثلاث أقسام . للاستنساخ آثار ايجابية وأخرى سلبية، الاولى تجلب المنفعة وقد ركز البعض عليها ليقول بندب هذا الفعل والثانية تجلب المضرة وكانت سببا في رد الاستنساخ من قبل البعض بدعوى دفعة المضرة اولى من جلب المنفعة. ومن الآثار المشرقة او الايجابية للاستنساخ البشري يمكن ان نذكر منها ما يؤدي الى مساعدة الانسان في تحسين النوع البشري وانجاب الاولاد ذي الطابع الوراثي المعين من حيث المواصفات الحميدة. كما انه يساعد على التخلص من العقم ومشاكلة، ناهيك عن فوائد كتعويض الأطفال اذا ما فقدوا من خلال الاستنساخ المماثل، وكذلك انتاج قطع غيار للانسان تساعده على القضاء على معاناته مع المرض والكثير من الجوانب الأخرى التي يمكن التطرق إليها .

وقد ذهبت منظمة الصحة العالمية الى القول بانه يمكن تطبيق مصطلح "الاستنساخ البشري" أيضاً على تخليق المضغ بنقل نوى الخلايا الجسمية لا بغرض توليد الأطفال بل كوسيلة علمية فحسب ويسمى هذا الاستخدام غير الإنجابي للاستنساخ أحياناً "الاستنساخ لغرض البحوث" (أو بصورة أقل دقة "الاستنساخ العلاجي"، حيث لا استخدام علاجي له في الوقت الحاضر) يميزه عن الاستنساخ لأغراض الإنجاب. ويستخدم الاستنساخ لغرض البحوث حالياً، على وجه الخصوص، كوسيلة لتخليق خلايا جذعية من الأجنة البشرية من أجل الدراسات العلمية وربما لأغراض العلاج فيما بعد. فما أن تصل المضغ البشرية المستنسخة مرحلة الكيسة الأريمية (قرابة خمسة أيام بعد الإخصاب)، تتم إزالة كتلة الخلية الداخلية التي تستخلص منها سلالات الخلايا الجذعية مما يتلف المضغ أو الأجنة. ويفضل بعض العلماء الذين يضطلعون بهذا العمل وصفه على أنه "نقل نوى الخلايا الجسمية لتخليق خلايا جذعية"، لأنهم يجدون أن مصطلح "الاستنساخ" ينّم عن تخليق طفل. ويجيب ناقدو هذا الموقف بأن "الاستنساخ" هو المصطلح المناسب ويقولون إنه من الأصح القول بإن الطريقة نفسها - تخليق مضغ بنقل نوى الخلايا الجسمية - يمكن أن تؤدي إلى حصيلتين مختلفتين: توليد المضغ لأغراض البحوث (كمصدر للخلايا الجذعية، مثلاً) أو تخليق بني البشر.[4] وقد ذهبت منظمة الصحة العالمية الى القول بانه يمكن تطبيق مصطلح "الاستنساخ البشري" أيضاً على تخليق المضغ بنقل نوى الخلايا الجسمية لا بغرض توليد الأطفال بل كوسيلة علمية فحسب ويسمى هذا الاستخدام غير الإنجابي للاستنساخ أحياناً "الاستنساخ لغرض البحوث" (أو بصورة أقل دقة "الاستنساخ العلاجي"، حيث لا استخدام علاجي له في الوقت الحاضر) يميزه عن الاستنساخ لأغراض الإنجاب. ويستخدم الاستنساخ لغرض البحوث حالياً، على وجه الخصوص، كوسيلة لتخليق خلايا جذعية من الأجنة البشرية من أجل الدراسات العلمية وربما لأغراض العلاج فيما بعد. فما أن تصل المضغ البشرية المستنسخة مرحلة الكيسة الأريمية (قرابة خمسة أيام بعد الإخصاب)، تتم إزالة كتلة الخلية الداخلية التي تستخلص منها سلالات الخلايا الجذعية مما يتلف المضغ أو الأجنة. ويفضل بعض العلماء الذين يضطلعون بهذا العمل وصفه على أنه "نقل نوى الخلايا الجسمية لتخليق خلايا جذعية"، لأنهم يجدون أن مصطلح "الاستنساخ" ينّم عن تخليق طفل. ويجيب ناقدو هذا الموقف بأن "الاستنساخ" هو المصطلح المناسب ويقولون إنه من الأصح القول بإن الطريقة نفسها - تخليق مضغ بنقل نوى الخلايا الجسمية - يمكن أن تؤدي إلى حصيلتين مختلفتين: توليد المضغ لأغراض البحوث (كمصدر للخلايا الجذعية، مثلاً) أو تخليق بني البشر.[5]

المبحث الثاني/ الجدلية العقائدية في الاستنساخ.

أثار موضوع الاستنساخ البشري تساؤلات عدة لدى علماء المسلمين، تتصل بمسألة الخلق والخليقة، اذ اول المشاكل التي قد تواجهنا في الموضوع المشكلة العقائدية، وقد أثير الموضوع من عدة وجوه:

الاول/ موضوع (الخلق): هل ان عملية الاستنساخ خلق؟! وكلنا نعلم انه منحصر بالله عزوجل.

الثاني/ تغيير الخلق (التخليق): أم انها تغيير لخلق الله عزوجل الذي يعتبر مما أمر به الشيطان وبالتالي يعد من الاعمال المحرمة حتما؟!

الثالث/ تغيير سنن الكون: ام انها خروج عن السنن الكونية في الخلق التي دلت النصوص الشرعية على انه ينبغي ان تكون من ذكر وأنثى؟! فطريقة التكاثر المألوفة هو الطريق الجنسي المألوف، اذ جاء الكتاب الكريم آيات عديدة، منها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [6] ، مما هو ظاهر في كون الخلق من ذكر وأنثى فقط. وكذلك من السنة الشريفة ما روي عن رسول الله (ص) انه قال: (ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات: يكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي ام سعيد، ثم ينفخ فيه، فوالذي لا إله الا هو، ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها) [7] ، مما يتطلب تقسيم هذا المبحث على ثلاثه مطالب نبحث كل منها جانب من هذه الجوانب.

المطلب الأول/ اشكالية الخلق في الاستنساخ البشري.

قيل إنّ الاستنساخ البشري خلق للإنسان ـ كما أطلق العلماء مصطلح الخلق على عملية استنساخ النعجة دوللي ـ وهو من مختصّات الخالق الباري جلّ وعلا، فعليه يكون الاستنساخ تدخلاً في عمل الله تعالى، فيما عارضهم آخرون، وهذه تعد إحدى المشاكل العقائدية المهمّة المطروحة في الاستنساخ البشري، فقبل الخوض في الإجابة عنها، لا بأس بالتعريج على مسألة مبدأ وأساس ومنشأ الخلق ومكانه بنظر اللغة والكتاب العزيز، للوقوف على احتمال معارضة الاستنساخ لتلك المبادئ أو عدمها.

الفرع الأول / المفهوم اللغوي لكلمة (خلق)

الخلق في اللغة يعني التقدير، اذ قال الزبيدي الخلق في كلام العرب على وجهين الانشاء على مثال أبدعه والآخر التقدير وكل شيء خلقه الله هو مبدؤه على غير مثال سبق إليه (ألا له الخلق) [8] ، و (آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) [9] . قال ابن الانباري: معناه أحسن المقدرين، وقوله تعالى (وتخلقون إفكا) [10] ، اي تقدرون كذبا [11] .وقال ابن منظور: خلق الله الشيء، يخلقه خلقا، أي أحدثه بعد ان لم يكن شيئا، وأصل الخلق هو التقدير، فهو باعتباره ما منه وجودها (خالق)، وبالاعتبار للايجاد وفق التقدير خالق [12] . والخالق يطلق على: المبدع للشيء المخترع له على غير مثال سابق، والخالق: هو الصانع [13] .والمستفاد من كلام أهل اللغة ان الخلق بمعنى التقدير المستقيم هو يستعمل في الابداع أيضا، كقوله تعالى: (خلق السموات والارض)[14] ، بقرينة قوله تعالى: (بديع السموات والارض)[15] ، وفي إيجاد شيء من شيء كقوله تعالى: (خلق الانسان من نطفة)[16] ، فالمراد من الخلق هو (التقدير) وهو مقدم على (الايجاد)، فكل موجود مقدر، والعكس لا يكون صحيحا، اذ ليس كل مقدر موجودا[17] .

الفرع الثاني/ التعريف الاصطلاحي لكلمة (خلق)

وليس المعنى الاصطلاحي للخلق ببعيد عن المعنى اللغوي، فقد قيل فيه عدة أقوال يمكن جمع معانيها، بأنه: تقدير أمشاج، ما يراد إظهاره بعد الامتزاج، ويستعمل الخلق أيضا في: إبداع الشيء من غير أصل، فكما جاء في قول الله تعالى: (خلق السماوات والأرض)[18] ، كما يستعمل في إيجاد شيء من شيء آخر، ومنه قوله سبحانه: (الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)[19] . وبذلك فإن المعنى الاصطلاحي الاعتقادي لكلمة الخلق، له جنبتين: **الاولى** بمعنى ايجاد الشيء من العدم المحض دون ان يكون هنالك حاجة الى آلة تصويرية او مادة اولية تساعده في الانشاء، كما في قوله تعالى: (واذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون). وأما **الثانية** فهي اعطاء الحياة والنفس وبثهما في الكائنات. فهذان المعنيان الاصطلاحيان للخلق انفرد بهما الله تعالى[20] . والأدلة على هذا القول كثيرة، سواء في الكتاب ام السنة. فكما جاء في قوله تعالى: (الله خلق كل شيء وهو على كل شيء وكيل)[21] . وقوله تعالى: (نحن خلقناكم فلولا تصدقون* أفرأيتم ما تمنون* أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون)[22] .ومن أدلة السنة، ما روته عائشة (رض) عن الرسول (ص) قوله (أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله)[23] .والخلق بمعنى الإبداع لا يكون إلا لله سبحانه، وأما الخلق الذي هو إيجاد شيء من آخر، فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال[24] .ومن ذلك يعرف ان الاستنساخ وسائر الكشوفات العلمية مما قدره الله تعالى ويكون مخلوقا له عز وجل، فليس هو خارجا عنه. وهذا ما اثار اشكالية في علاقة الاستنساخ بالخلق، والتي نبحثها من خلال النقطة الآية.

الفرع الثالث/ علاقة الاستنساخ البشري بالخلق.

اثار موضوع الاستنساخ البشري بنوعيه جدلا واسعا في أوساط علماء الشريعة سواء في الاحكام الشرعية او ما يسبقها من قضايا عقائدية، اذ لاشك انه أمر حديث غير معروف لدى علماء الشريعة القدامى وكذلك المحدثون، فلما كان الاستنساخ أمر غير معروف لديهم فقد يبدو الامر وللوهلة الأولى ان تقنية الاستنساخ عمل من قبيل الخلق المختص بالله سبحانه وتعالى. وهذا لعله ما دفع الفاتيكان في تقدير الامر على انه يُعد تدخلاً مباشراً في عملية الخلق أو الإبداع الإلهي[25] ، وغريب ان يكون الكشف العلمي خلقا لكائن حي، كما يخلقه الله عز وجل ويوجده وواضح ان العلماء اكتشفوا سر الخلايا الحية وتكوينها، ووظائفها، وبالخصوص سر الخلايا الوراثية (الجينات)، وأن القصد هو التحكم في الصفات الوراثية، ولم يكن قصد العلماء خلق الخلايا الحية أبدا.

اذ لو تمعنا لوجدنا انه ليس من عنوان الخلق في شيء، بل من قبيل ما هو المتعارف في عالم النبات الذي يسمّى تقليم، حيث يؤخذ جزء صغير من غصن بعض الشجر، ويغرس في أرض مستعدّة، فتحصل له جذور، وينمو في الأرض، فالذي يأتي بذلك لم يخلق شجراً، ولا نباتاً، بل أخذ جزءاً من شجر يشمل جميع صفاته، فغرسه في الأرض، فنما بطبيعة ذاته، وصار شجراً كالشجر الأوّل من جميع جهاته، إلّا أنّه لمّا لم يعهد ذلك في الحيوانات وإلانسان، صار عجيباً في بدو النظر. فالاصل كما نعلم أنّ كلّ خليّة من خلايا الإنسان، تشتمل على جميع خصائصه، وفي الواقع يكون كبذر إذا القي في أرض مستعدّة، اهتزّت وربت وأنبتت[26]. مع ان الاكتشافات العلمية التي منها الاستنساخ الحيواني ترجع كلها الى خلق الله عزوجل، فإنه قد يكون منه تعالى ابتداء كما في خلق السموات والارض. وقد يكون بواسطة الملائكة او الانسان، فإنه منسوب إليه سبحانه أيضا: نظير أعمال الانسان فإنه مع كونه مختارا ينسب عمله إليه، كذلك تكون منسوبة إليه عزوجل، وهي نظرية الامر بين الأمرين التي أسسها أئمة أهل البيت (ع) في قولهم المشهور (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين)[27]، والجميع مخلوق له تبارك وتعالى (والله خلقكم وما تعملون)[28]. فلو اننا لو تعمقنا قليلا بآلية الاستنساخ لوجدنا انها ليست إلا اثباتا لوجود الله سبحانه وتعالى ولخالقيته [29]، اذ اننا نجد الاستنساخ البشري قد يجب عن مناقشات في موضوع المعاد وعودة البشر واشكالية الآكل والمأكول، وهي اذا تغذّى إنسان من بدن إنسان آخر بلا واسطة، أو بعد عوده تراباً، ثمّ شجراً وثمراً، وقلنا بالمعاد الجسماني، فإن رجع الإنسان المأكول إلى محلّه، بقي الإنسان الآكل ناقصاً، وإن لم يرجع لم يكن له معاد، وقد ناقش العلماء الامر بأن كلّ خليّة من خلايا الإنسان تحمل جميع أوصافه، فلو عاد المأكول إلى محلّه وصار الآكل ناقصاً، أو لم يبقَ منه إلّاخليّة واحدة، يمكن أن تنمو وتربو، فيرجع الآكل كاملًا، ويكون عين الإنسان الأوّل[30]. وعموما فإن النقل والعقل متفقان على ان الاستنساخ البشري ليس من الخلق بشيء ويمكن ان نوجز ذلك كما يلي:

1- ابطال النصوص القرآنية لربط الاستنساخ بالخلق: الآيات القرآنية في هذا الخصوص كثيرة الا اننا اخترنا ما يكفي لايضاح الأمر بأنه من صنيع الله عزوجل، ووقف على جليل ذاته دونما مشارك او منازع، حيث قال تعالى: (يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب)[31]، اذ يتحدى الله سبحانه وتعالى البشرية في خلق ولو ذبابة من دون اللجوء الى خلقه، كما جاء في قوله تعالى أيضا: (ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم، قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار)[32]. وهنا رد واضح على من يتشابه الامر عليه في الخلق ويعيده الله سبحانه وتعالى الى رشده بأن الخلق له وحده من دون شريك ولا رقيب.

2- ابطال العقل لربط الاستنساخ البشري بالخلق: تبين لنا من خلال مفهوم الخلق الاصطلاحي واللغوي انه ايجاد من عدم، وإبداع على غير مثال سبق، وقد يتساءل بناء على ذلك العقل عن الشيء الذي خرج بفضل الاستنساخ من ظلمة الى نور الوجود، هل هو حقا خلقا جديدا؟!

ولعل العقل يجزم بان ما قيل بشأن الاستنساخ الخلق إنما نتاج ضلال في الرأي، وخلط في التفكير، أين عمل هؤلاء العلماء من الخلق، او بعض الخلق وكل ما اعتمدوه في انجازهم موادا مخلوقة موجودة اجتهدوا في التنسيق بينها وفق سنن الله وقوانينه، وما كانوا ليصلوا الى هذا النجاح لولا تلك المواد المسخرة امام أيديهم. فالخلية الجسدية لم تكن من روائع اكتشافات الدكتور و(يلموت) او زميله (كمبل) ولم يوجدها أحدهما من العدم، فاخذ خلية من خلق الله واجراء تعديلات عليها ليس بخلق، ولا مما يتنافى مع تفرد الله بالخلق ورغم ذلك يحرص الرافضون للمنطق الديني ان يؤولوا الاستنساخ لصالح نظرتهم الإلحادية [33].

المطلب الثاني/ اشكالية التخيلق في الاستنساخ البشري.

ويتفق البعض بأن ما حدث في موضوع الاستنساخ البشري ليس من قبيل الخلق لكنه من قبيل التخليق والتدخل في شؤون خلق الله سبحانه وتعالى، فحتى نقف على الاشكالية بشكل واضح لابد ان نتطرق ابتداء الى معنى التخليق ومن ثم نبين الاشكالية العقدية في الموضوع وآراء العلماء فيها.

الفرع الأول/ المعنى اللغوي لكلمة (تخليق)

تخليق مصدر خلَّقَ، وهي تعني اتحاد عنصرين أو أكثر يؤدّي إلى تكوين شيء جديد، وكذلك سلسلة من التفاعلات ينتج عنها موجودا جديدا. فيقال التَّخليق الحيويّ: (في الكيمياء والصيدلة) تشكُّل مُركَّب كيميائيّ عن طريق كائن حيّ.والتَّخليق الضَّوئيّ: (في النبات) هو عبارة عن تكوين السُّكَّر في خلايا النبات، باتّحاد ثاني أكسيد الكربون مع الماء في وجود الضَّوء واليخضور (الكلوروفيل) [34] .

الفرع الثاني/ المعنى الاصطلاحي لكلمة (تخليق) ان مسألة الاستنساخ البشري هو تخليق وليس خلقا. اذ ان هنالك من يفرق بين المعنيين، فالخلق لله سبحانه وتعالى وحده، حيث جاء في كتابه الكريم: (الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين)، أما التخليق او التكوين فيستطيعه الانسان بواسطة ما خلق الله، فالخلية او البويضة او الرحم من خلق الله، لكن استطاع الانسان الوصول الى تقنية الاستنساخ بما خلق الله [35] . ومعنى ذلك ان التخليق هو ما يتم وفق صورة اولية موجودة مع الاحتياج الى المادة الاولية، اي ان التخليق لا يكون من العدم.

الفرع الثالث/ الصلة بين التخليق والاستنساخ البشري:

ومن خلال الرجوع الى المعنى اللغوي قد يبدو ان التخليق هو التدخل في خلق الله سبحانه وتعالى وقد عد البعض عملية الاستنساخ البشري من هذا القبيل او من قبيل تغيير خلقه والمنهي عنه في القرآن الكريم، اذ يشير الله تعالى في آيتين إلى التغيير في الخلقة وتبديلها. وينسب عمل التغيير في الخلقة إلى الشيطان.

الآية الأولى: (وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذْ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً) [36] . اذ استشهدوا بعبارة (فليغيرن خلق الله).

والآية الثانية: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [37] .ومحلّ الاستدلال في هذا القسم هو الآية: (لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ). والاستدلال بهذه الآية يشبه الاستدلال بالآية التي سبقتها. مما جعلهم الى القول بحرمة الاستنساخ من مفاهيم هذه الآية الشريفة، وتوصّلوا إلى النتائج التالية:

1ـ التغيير في خلقة الله عزّ وجلّ ينافي الفطرة السليمة التي خلق اللهُ الانسانَ على أساسها. فعندما حرّم الإسلام تغيير الجلد فقط، واعتبره من موجبات تغيير الخلقة.

2ـ استنتج عارف علي عارف القره داغي الحرمة بعد أن ذكر هاتين المقدّمتين:

الأولى: يعتبر الاستنساخ تغييراً ظاهراً في خلقة الله، وهو عملٌ من الشيطان.

الثانية: الثانية: كلُّ أمرٍ مفسدٍ يكون للشيطان يدٌ فيه، وتغيير خلقة الله وفطرته التي فطر الناس عليها يعتبر أمراً فاسداً[38] .

3ـ الاستنساخ يعتبر تدخّلاً في تغيير خلقة الله تعالى، ويدخل ضمن قوله عزّ وجلّ: (وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ)، لذلك فهو محرَّم[39] .

4ـ تغيير في الطريق الذي رسمه الله للتكاثر والانجاب، اذ استدل بالآية الشريفة على حرمة الاستنساخ بهذا الشكل: الإنسان هو خليفة الله في الأرض، ويجب عليه أن يقوم بالمحبّة والمودّة، اللتين لا تتحقّقان إلاّ عن طريق الزواج. والاستنساخ هو طريقٌ غير الطريق الذي حدَّده الله عزّ وجلّ. ففي هذه العملية قد غيَّر الإنسان سنّة الله، ونوعاً ما فإنّه قد غيَّر في الخلقة [40] .

وقد تكفل العلماء بالرد على هذه الشبهة بالعديد من الردود نكتفي بنقل بعضها منعا للإطالة ووضح الردود:

1ـ ان الاستنساخ ان كان فيه تغيير لخلق الله عزوجل ـ جدلا ـ لكنه لم يكن فيه معارضة مع خلق الله سبحانه، فهو خلق شبيه لما خلقه الله[41] .

2ـ القول بأن الاستنساخ تصرّف في أمر الخلقة وهمٌ باطل، بل هو تغيير للطريقة التي يمكن الحصول بها على تلك الأفراد[42] .

3ـ ان الاستنساخ لم يكن خلقا جديدا ولا تغيير لخلق الله تعالى، فإنه موجود في الحيوانات الدنيا مثل البكتيريا والأميبا[43] ، وكذلك مستخدم تكثير النباتات والأشجار عن طريق الاستنساخ، فالذي يتصدّى لذلك يجعل خليّة الإنسان في مكان يستعدّ للنموّ، كإلقاء البذر في أرض مستعدّة، وليس هذا من التصرّف في أمر الخلقة في شيء، ولذا لم يستشكل عليه أحد- فيما نعلم- على تطبيقه في عالم النبات والحيوان، ولا يزال

العلماء يستحصلون أنواعاً جديدة من النباتات والأشجار المثمرة عن طريق التصرّف في الجينات الوراثية، وعن طرق اخرى، وكذلك في انتخاب الأصلح في الحيوانات.

4- وأخيرا يمكن القول ان المستفاد من الرجوع الى آيات خلق الانسان نجد ان الله سبحانه وتعالى ليس لديه صيغة ثابتة في خلق الانسان حتى نقول بتجاوزها تجاوز القواعد الحاكمة على الخلق، اذ نجد ان سبحانه وتعالى خلق آدم من تراب لا عن طريق الاتصال الجنسي، وكذلك كان خلق حواء ضلع آدم حسب أقوى الروايات فكان بإمكانه ان يخلقها من تراب ايضا[44] ، وكذلك خلق عيسى من غير اب كما تشير الآيات المباركة الى ذلك، لا ننسى أيضا عندما رزق الله النبي إبراهيم وزكريا بغلاميين بعد ان كبرا من العمر عتيا وكانت زجتيهما ما بين عاقر وآيس.

ان عملية الاستنساخ البشري لا يمكن براينا ان تعتبر من قبيل الخلق او حتى تغيير في الخلق او كما عبرنا عنه بالتخليق، وان كنا قد ذهبنا الى القول (ان التسميات الواردة أعلاه، هي في حقيقة الامر تعكس صورة واحدة هي ان مسألة الخلق أمر متروك للخالق عزوجل خالق كل شيء ومصوره وهو الذي أودع الروح في جسم الكائن الحي، وهو الذي ينتزعها، فالعلماء في تقنية الاستنساخ لم يخلقوا كائنا حيا بل استطاعوا عن طريق ما اودعه الله في جسم هذا الكائن، ان يتوصلوا الى هذا الاكتشاف العلمي، الامر الذي دفع البعض الى القول ان الاستنساخ يجب ان لا يزعزع ركائز الايمان والعقيدة لدى المؤمنين او يشكك في قدرة الخالق ويجعل الانسان ينافس الله تعالى)[45] .

المبحث الثالث/ الجدلية الأخلاقية في الاستنساخ.

يعد موضوع العلم والأخلاق من القضايا الفلسفية القديمة، اذ المراد منها ارتباط العلم بالأخلاق والقيم الانسانية، بما يعود بالنفع والخير على البشرية، لا بالوبال والدمار. وقد حثت الرسل السماوية والديانات الإلهية كافة على ضرورة تمتع العلماء بالتواضع والالتزام بالمعيار الخلقي والسنن الكونية التي أودعها الله تعالى في هذا الوجود المتناسق البديع. ولم تكن الجدلية الأخلاقية في الاعتراض على الاستنساخ البشري مختصة بعلماء المسلمين فحسب بل ان هنالك أصواتا كثيرا نجدها صداها عند علماء الغرب من هذه المسألة، فهذا عالم الوراثة (Watso) الحائز على جائزة نوبل للبيولوجيا يقول وهو بصدد رفضه الشديد لعملية الاستنساخ البشري: (انه لأمر شديد الخطورة ان تسلب ابنك شعوره بذاته وتفرض عليه أمرا قد لا يرضاه لنفسه بتدخلك السافر لطبيعة الأمور)، ويردف قائلا: (ان ذلك قد يؤدي الى تغيير طبيعة الارتباط بين الطفل ووالديه تغيرا جذريا لدى من نشأوا نشأة دينية، هذا عدا القيم التي يحملها كل فرد)، أما الدكتور (Danial Kalhan) فيقول: (ان إلغاء الجماع والتوالد وإشاعة التزاوج اللاجنسي عن طريق الاستنساخ وأمثاله يؤدي الى تجريد الانسان من انسانيته، وقد ميزه الله عن بقية المخلوقات بذاتيته اذ لا يمكن القبول ان يكون انتاج بصورة تشبه انتاج قطيع من الأبقار او الخراف) [46] .الا ان الكثير من العلماء قد سعوا ويسعون للوصول الى مآربهم الخاصة دون النظر الى المصالح العامة والإلتزام بالمبادئ والقيم الأخلاقية، فمن المؤكد أخلاقيا أن المحاولات التي تجري لاستنساخ بشر تعد قمة عدم المسؤولية حيث يوجد حدود لرغبتنا في أن يكون لنا أطفال وبين الكيفية التي تشمل أي نوع من التقنية يمكن أن نستخدمه لتحقيق تلك الرغبات فهي تعطي العلم اسما سيئا وتقف ضد والأخلاق والفهم المعروف عن الطب.. فإن الدرجة التي أضحت عليها تلك التجارب وإن أخذت على أنها من صميم المهنة إلا أنها طبيا وأخلاقيا غير مقبولة، فهي بمثابة التحكم والتطويع الكامل لجينات شخص آخر.فكيف يعقل ان يخضع مصير الانسان للتجارب الفاشلة والمحتملة من غير جدوى تذكر، ولا هدف واضح سوى الفضول العلمي والعبث الفكري وحب الشهرة والزعامة والغرور وتحقيق المآرب والأغراض المختلفة. وكيف يقبل ويستساغ أمر التدخل في حق الله وإرادته في الخلق، ومعلوم ان العلم طريق الى الله وليس هروبا من الله وادعاء مضاهاته والاشراك معه في الخلق والانشاء. قال تعالى: (ففروا الى الله). وعليه سنبحث في هذا المطلب أهم الاشكالات الأخلاقية المرافقة للاستنساخ البشري كإشكالية القضاء على استقلالية الانسان، والقضاء على وحدة الاسرة، ووقوع الاستنساخ في أيدي الأشرار، اختلاط الانساب، او تلك المتعلقة بخطر التمييز العنصري والتطهير العرقي، او حتى باستخدامه في انتاج (القطيع المستنسخ).

هذه الفرضيات نحاول ان نناقشها من خلال المطلبين وحسب ما يأتي:

المطلب الاول/ الاستنساخ واستقلالية الانسان

نبحث في هذه الجدلية المتعلقة باستقلال الانسان وتمايزه عن غيره نقطتين، نقدم في الأولى وجه الاشكال وأساس الجدلية، وفي الثانية الاجابة والردود عن هذا الاشكال ان وجدت:

الفرع الأول / اشكالية تمايز الانسان في الاستنساخ البشري:

أولا: مفهوم الاشكالية

خلق الله الانسان بشخصية مستقلة، وصفات التي لا يشاركه فيها أحد. واللجوء الى الاستنساخ البشري لإنتاج نسخ متشابهة ذات الصفات الوراثية الموحدة، يقضي على هذا التمايز الفطري؛ ليصبح أمامنا نسخا مكررة لآلاف من البشر لا يمكن التمييز بينها، وأهمية كل مخلوق تكمن في كونه يتميز عن كل ما حوله، وذلك ان كل انسان منا يحمل أشياء تميزه بالذات[47] ، لا يستطيع شخص آخر ان يحملها، مثل: بصمات الأصابع، والبصمة الجينية، والبصمة الصوتية، لكن هذه التقنية الجديدة يمكن ان تقلب مفاهيم الانسان وخصوصياته بشكل كامل. قال تعالى: (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)[48] ، واختلاف الألسنة (البصمة الوراثية) وهي مختلفة كاختلاف البصمات الأخرى، واختلاف الألوان هو الاختلاف في الصور؛ اذ جعل لكل انسان صورة خاصة به تميزه عن غيره، اذ الاستنساخ يقضي على كل هذا التمايز ويجعل الناس تتشابه فلا يعرف شخص عن آخر سواء في العلاقات الأسرية او غيرها[49] ؛ كما يؤدي الى ازدياد جرائم السرقة والغش والاغتصاب وغيرها، مما يصعب على رجال القانون ايقاع العقاب بسبب التشابه[50] .

ثانيا/ الرد على اشكالية التمايز:

قد يبدو ان هذا الاشكال من الاشكالات الرئيسية التي وجهت الى عملية الاستنساخ البشري اذ لم أجد لها اجابات في الكتب والبحوث التي اطلعت عليها، الا انه يمكننا القول ان العوامل التي تؤثر في شخصية الانسان وتمايزه عن غيره هي العديد من العوامل فمنها الوراثية وهي المستنسخة نصا والمتماثل بين المستنسخين وأخرى تتعلق بالعوامل المكتسبة من خلال البيئة والعمل والمدرسة والفرص المتاحة والظروف الزمانية التي لا يقل تأثيرها عن العوامل الوراثية[51] ، اذ نرى توأمين يعيشان في مكان واحد وظرف واحد الا انه بحكم نفسية وظروف كل منهما قد نجد تمايز بينهما من حيث التعاطي مع المواقف، لذا فإن البصمة الوراثية ليست وحدها المؤثر في تكوين شخصية الانسان وتميزه عن غيره.اللهم اشكالية الغش نحو القانون واستغلال النسخ العدوانية التشابه بينها وبين النسخ الأخرى وايقاعها في فخ العقاب والنأي بالنفس عن تلقي نتاج أفعالها، اذ تكون في هذه الحالات البصمات التي يمكن الوصول إليها متشابهة يصعب التمييز بينها.

الفرع الثاني/ القضاء على وحدة الأسرة واختلاط الانساب.

ومن المسائل الأخلاقية التي يثيرها الاستنساخ البشري هو القضاء على الأسرة وفوضى الانساب، اذ لا يرتبط المستنسخ اللاجنسي الا بطرف واحد من أطراف العلاقة الزوجية فيما تتساوى التوائم عن طريق الانشطار وكأنها شخص واحد، مما يدعوننا الى بحث هذه الاشكالية في هذا فرع من خلال نقطتين:

أولا/ جدلية وحدة الأسرة والاستنساخ البشري:

ان اللجوء الى الاستنساخ البشري من اجل الانجاب يؤدي الى تفكيك الأسرة والتكوين العائلي، والقضاء على مفهوم الأمومة وانتهاء عصر الرجال، وزمن الأزواج. اذ لا يحتاج المستنسخ الى أب او أم، بقدر ما هي بحاجة الى مؤسسة تقوم برعايتها، وقد تم انماؤها في أجهزة خاصة، وعندئذ تصبح مصطلحات الأمومة والوالدية والتواصل الأسري من مخلفات الماضي[52] . فيما يحافظ الاسلام والأديان جميعا على هذا الكيان ومبناه الزوجان وما بينهما من مودة ورحمة وحسن عشرة؛ أما الاستنساخ فهو تكوين ذرية دون تزاوج بين طرفين، وإلغاء دور التناسل في حياة البشر. وآنذاك قد يغير من العلاقة بين الآباء والأبناء والأزواج، لأن النسخة تكون مطابقة للام او للأب فقط، وغريبة عن الطرف الثاني تماما[53] .ناهيك عما يؤدي الاستنساخ من اختلاط في الأنساب الذي قد يصل الى حد الفوضى، حيث ان الفرد الناتج من عملية الاستنساخ أما ان يكون من الناحية الوارثية أخا توأما للشخص المستنسخ منه (صاحب الخلية) وليس ابنا

له، حتى لو زرع في رحم زوجته، ام ان يكون اختا توأما للزوجة ولا علاقة للزوج بها من قريب او من بعيد، وقد تصل الفوضى الى حد ان يربي الابن أباه، وأن تربي الأبنة الصورة المستنسخة أمها[54].

ثانيا/ الرد على اشكالية وحدة الأسرة:

ويرد السيد علي السبزواري على الاشكال المذكور بقوله: (انما ما ذكر من تغيير طبيعة الارتباط بين الطفل ووالديه في الاستنساخ، فهو لا يختص به بل هو حاصل ايضا في التكاثر الجنسي، فإن مخالفة القوانين الموضوعة فيه التي تصحح الارتباط بين أفراد الأسرة ولاسيما الولد مع والديه، توجب التغيير بل فك ذلك الترابط الروحي، كما هو المحسوس في المجتمعات التي تحللت عن كثير من العادات والتقاليد، والقوانين الوضعية، او الأحكام الإلهية التي كانت ترعى تلك الروابط الأسرية، وتوفق بين أفراد الأسرة، مع انه يمكن وضع قوانين تصحح الروابط بين الآباء والأبناء في الاستنساخ، وتنظم العلاقات الأسرية بين أطرافها الحاصلة عن طريق الاستنساخ)[55]. فيما يرى آخرون صحة هذا الإشكال حال عدم امكان رفع الإبهام في العلاقات العائلية للمستنسَخ. اذ عندما لا يمكن توضيح علاقة هذا الشخص مع الآخرين فإنّ هذا الإشكال يكون وارداً[56].

المطلب الثاني/ جدلية الاستنساخ البشري وانتاج القطيع المستنسخ.

قالوا ان الاستنساخ البشري يعطي امكانية استنساخ العظماء والأذكياء والمفيدين للمجتمع، الا انه قيل أيضا بأن هذه المزيدة يمكن استخدامها في استنساخ الأشقياء القطيع الموجه حسب رغبة المستنسخ مع تعديلات وراثية، نبحث هذه الجدلية من خلال النقطتين التاليتين:

الفرع الاول / جدلية انتاج القطيع المستنسخ.

اولا: مفهوم الجدلية

ان الاستنساخ البشري يمكن المستنسخ من انتاج أفراد يتشابهون من حيث الصفات التي من الممكن ان تكون حميدة او ان تكون ذميمة كاستنساخ أشخاص أمثال الحجّاج، أو هتلر، أو غيرهما[57]، وان هذا (القطيع المستنسخ) قد يشكل جيشا او عدوا خطيرا على اي مجتمع اذا ما تم التحكم به من جهات مشبوهة وهذا هو ديدن البشرية، فكما تم استخدام الطاقة الذرّية في الأغراض التخريبية؛ أكثر منه في العمران والصلاح[58]. فوقوع هذه التكنولوجيا المتطورة في يد سلطة ديكتاتورية عدوانية تستغلها أبشع استغلال، وتسعى الى الاستفادة منها لغرض التسلط والسيطرة على العالم وسحق خصومها بلا رحمة. وماذا يمنع آنذاك طاغية من الحكام من انجاب عناصر من العبيد يقوم باستنساخهم ولهم من الذكاء والتكون ما يجعلهم قاصرين على الخدمة والاخلاص[59]. هذه اشكالات حقيقية تبحث عن اجابة لمواجهة خطر الاستنساخ البشري في انتاج القطيع المطيع ذو المواصفات الخاصة والانتاج المعدل وراثيا حسب رغبة المنتج.

ثانيا/ درء اشكالية القطيع المستنسخ:

يرى العلامة السيد علي السبزواري ان دعوى استنساخ قطيع منزوع الرحمة والمودة خالية من البرهان، اذ ان الانسان بروحه وان نفسه هي التي تثبت فيها الأخلاق الحميدة ويمكن تربيتها لزرع المودة والرحمة في القلوب ورفع أسباب النفرة والكراهية بينها ولا دخل لأسباب كثرة الانسان في ذلك، فلا فرق بين ان تكون الافراد متشابهة او مختلفة، متفقين في الصفات ام مختلفين، اقوياء اصحاء اذكاء ام لا، فإن الاستنساخ لم يكن الوسيلة في موت النفوس، فإن أمر الروح هو عند الله سبحانه وتعالى، وان الأخلاق كما تقدم ترتبط وتتأثر بالتربية والتعليم، والتزكية ونتائج الأعمال دون أسباب وجود الانسان وطرق تكثيره[60] الا ان هذه الاشكالية تبقى من أهم المشاكل التي قد اتفق الجميع على خطورتها، مما يوجب التوقف عندها والبحث عن علاجها بجد، ولا وجه للقول بأن الاجرام وان كان محرما الا ان فعل ما قد يستغله المجرم ليس محرما فإن الكلام ليس في استغلال المجرم لفعل معين بل هو في انشاء جيل كلهم مجرمون. فكما فعل الجيش الاحمر في الاتحاد السوفياتي في تجمع عدد من الأيتام منذ الصغر ليكون بهم جيشا محاربا قويا، فما بالك لو كانوا يمتلك ذات المواصفات الوراثية، فإن التأثير عليهم سيكون اسهل بكثير حتما.

الفرع الثاني/ جدلية الخلق من اجل القتل و التمييز العنصر والتطهير العرقي بالاستنساخ البشري

أولا: **جدلية الخلق من اجل القتل.**

ومن الاشكالات التي أثيرت حول موضوع الاستنساخ البشري هو عرف تقنية خلق الانسان من أجل قتله، والتي تتمثل بانتاج نسخ طبق الأصل من أشخاص يعانون من أمراض او بحاجة الى أجزاء غير متماثلة لا يمكن الحصول عليها كالقلب مثلا، ومن ثم اخذ تلك القطعة من المنسوخ وانهاء حياته، فلا أحد يتقبل أخلاقيا ان يكون طفلا حديث الولادة حقلا تحصد منه الاعضاء (قطع الغيار)، فيؤخذ منه عضو لا يمكن تعويضه، فإن اجراءا كهذا يجعلنا نعد الاستنساخ تقنية خلقة الانسان من أجل قتله، فالقول بجوازه لا يصدر من انسان عاقل[61]. فيما يرى البعض[62] ردا على هذا الاشكال ان الاستنساخ هو طريق للتكاثر حاله حال اي طريق آخر، ولم يكن طريقا لخلق الانسان من أجل قتله فإن القوانين المجعولة لحماية الانسان كافية في الصد عن قتله بأي طريق كان، زد الى ذلك ان الفقهاء قد اتفقوا في الحكم الشرعي على حرمة قتل المستنسخ، اذ انه كسائر الأفراد، وأن الأحكام المجعولة في هذا الموضوع تشمله فلا يجوز قتله وهو في بداية مسيرة الحياة في الرحم الى آخر لحظة من الحياة التي قدرها الله عزوجل له، ولا يجوز التعدي عليه ولا على اعضائه، فإن ذلك محرم شرعا وقد وضعت قوانين وأحكام شرعية دقيقة لضمان حياته. فلا فرق بين الاستنساخ وغيره فقد اتخذ الظالمون وأعوانهم سبيل القتل في الوصول الى مآربهم وأطماعهم، واستخدموا الانسان لاجراء التجارب عليه، وقتلوا ملايين الأفراد ظلما وعدوانا، فقد سبق الاستنساخ تجارب كثيرة لأجل قتل الانسان منها تجربة القنبلة الذرية التي جعلت الديار بلاقع من أهلها[63].

ثانيا: التمييز العنصر والتطهير العرقي بالاستنساخ البشري.

لا يرتبط التمييز العنصري والتطهير العرقي بالاستنساخ حصرا، اذ ان البشر كانت له صولات وجولات في هذا المجال، اذ قامت هنالك مجازر وحروب على أساس التمييز العنصري والتطهير العرقي، ففي أوائل القرن الماضي حدث في امريكا التخلص من حوالي 80 ألف شخص. وليس خفيا على الرأي العام ما قام به هتلر في هذا الصدد، اذ عمل على تعظيم الجنس الآري وكون محكمة وراثية هدفت الى التخلص من النماذج البشرية المشوهة، وفعلا قام بالتخلص مما يقارب الخمسين ألف شخص؛ يخشى ان يستخدم الاستنساخ البشري في ظواهر الجاهلية الأولى، لاسيما ظاهرة التمييز بين الناس والتفرقة بسبب اللون والجنس او المال او الجاه او الانتماء القبلي والعرقي والجغرافي؛ وان هذه التقنية باعثا في استنهاض خصلة الاقصاء الآخر لدى الطغاة والمتعجرفين من خلال القيام بتجارب تحسين الصفات الوراثية للإنسان وتحسين الجنس البشري والتخلص من النماذج البشرية غير المرغوب فيها؛ ويخشى ان تتحول بعض التصريحات والمواقف ازاء القضايا البيولوجي الى تكريس سياسة التمييز والتفرقة والتطهير في عالم الأجناس والأعراف، اذ قد ذكر من بين اغراض الاستنساخ البشري هو انتاج فصائل بشرية رفيعة من ذوي الامتياز الجيني، قادرة على الثبات أمام مختلف الأخطار[64].

رغم كل ما تقدم في هذا المبحث والردود التي قيلت في الاشكالات العقائدية ورفضها جملة من حيث الدليل وكذلك الحال مع ما جاء في الجدليات الاخلاقية من ردود ونقاشات، نجد بعد التأمل بأن الاستنساخ البشري لا يخلو من مفاسد أخلاقية.وعلى العموم نترك الحكم بهذا الشأن لأصحاب الخبرة والاختصاص ونكتفي في هذا الصدد في تم من مناقشات.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث المقتضب عن علاقة الاستنساخ البشري بالخلق والتخليق والأخلاق كانت هنالك بعض النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث نوردها تباعا:

أولا/ النتائج:

1- سبق استخدام الاستنساخ عند الحيوان استخدامه في النباتات وأجريت العديد من التجارب والانتاجات في هذا الخصوص، حتى وصل الامر الى الحيوان من خلال النعجة دوللي.

2- الاستنساخ البشري له عدة أنواع متصورة، وهي الاستنساخ الجزئي او انتاج قطع الغيار، والاستنساخ الاستيئامي، والاستنساخ اللاجنسي (النعجة دوللي).

3- لا يعتبر الاستنساخ البشري من قبيل الخلق الذي يختصه به الله سبحانه وتعالى، فالخلق هو الإبداع في ايجاد الشيء من لا شيء، وهذا ما لا يقدر عليه غير الله.

4- لا يمكن اعتبار الاستنساخ البشري من قبيل التخليق او التدخل في خلقة الله سبحانه كذلك، اذ ان مجال حركة الانسان في الاستنساخ البشري هي محدودة في السنن الذي جعلها الله سبحانه وتعالى والاعتماد على المادة الاولية التي هي من خلق الله سبحانه وتعالى.
5- يفتح الباب أمام ترك الزواج وترك تشكيل الاسرة، والإقبال على الاستنساخ، وصيرورة المرأة حاملًا بدون زوج، بل كون حمل المرأة من قبل نفسها بالاستنساخ.
6- ما رأينا في اختلال نظام الاسرة، فلا يكون لهذا المولود والد، بل ولا والدة، ولا سائر العلاقات النسبية، وتنشأ من ذلك مشاكل اجتماعية قطعاً؛ فإنّ الإنسان ليس كالشجر ليتكاثر عن طريق الاستنساخ.
7- يؤدي الاستنساخ البشري الى اختلاط الانساب ومشكلة عدم التمايز بين البشر وفقدان الاستقلالية كلها اشكالات حقيقية لا يمكن تجاوز. رغم ما قد يبرر من ذكر الآثار الإيجابية للاستنساخ البشري.
8- ما ذكر في تبرير اللجوء للاستنساخ البشري كاستنساخ بعض الأذكياء مثلا، أو ذوي الاختراعات والنوابغ، وهذه ثروة عظيمة للمجتمع الإنساني. فإنه مردود بأن كل ماذكر من مزايا يمكن استخدام عكسه أيضا.

ثانيا/ التوصيات:

1- ضرورة إعادة النظر في أحكام الاستنساخ البشري والتروي فيها، لاشتماله على الكثير من المخاطر والمحظورات الشرعية والأخلاقية، سواء في اختلال التوازن الاسري او العلاقات النسبية او قتل الخلايا المخصبة فلا فرق بين النوعين إلا في التسمية.
2- إجراء مزيد من الدراسات حول موضوع الإستنساخ البشري واتخاذ التدابير اللازمة لعدم اجراء التجارب المشبوهة والمحظورة شرعا وقانونا وأخلاقا.
3- عقد المؤتمرات والندوات العلمية لبيان حقيقة الاستنساخ البشري بالتعاون مع رجال الدين او المؤسسات ذات العلاقة.
4- تشريع القوانين التي تعني بالأمر وبيان موقف المشرع العراقي من مشروعية اللجوء الى هذه التقنية وتحديد طبيعة الكائن المستنسخ وحدود الحقوق التي يتمتع بها قانونا.

الهوامش.

(1) - صالح العلي الصالح و زوجته أمينة الشيخ سلمان الأحمد، المعجم الصافي في اللغة العربية، ط 1، مطابع الشرق الأوسط – الرياض،1409 هـ الرياض، 1409 هـ - 1989 م، ص 662.
(2) - ابراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط ج 2، مجمع اللغة العربية، المكتبة العلمية ، طهران، بدون سنة طبع، ص 924.
(3) - المنجد في اللغة و الإعلام، ط 24، دار المشرق – بيروت، 1975 م، ص 805.
(4) - ينظر : استنساخ البشر لأغراض الإنجاب: حالة النقاش الدائر في الجمعية العامة للأمم المتحدة تقرير من الأمانة منظمة الصحة العالمية المجلس التنفيذي متo١١٥ /وثيقة معلومات/٢ الدورة الخامسة عشرة بعد المائة ١٦ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤.
(5) - ينظر : استنساخ البشر لأغراض الإنجاب: حالة النقاش الدائر في الجمعية العامة للأمم المتحدة تقرير من الأمانة منظمة الصحة العالمية المجلس التنفيذي متo١١٥ /وثيقة معلومات/٢ الدورة الخامسة عشرة بعد المائة ١٦ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤.
(6) - سورة النساء، آية 1.
(7) - أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (البيهقي)، شعب الايمان، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 207.
(8) - سورة النساء، آية 1.
(9) - سورة المؤمنون، آية 14.
(10) سورة العنكبوت، آية 17.
(11) - تاج العروس، مادة خلق.
(12) - لسان العرب، مادة خلق.
(13) - وزارة التربية والتعليم المصرية: المعجم الوسيط، مادة "خلق".
(14) - سورة الفرقان، آية 59.

(15) - سورة البقرة، آية 117.
(16) - سورة النحل، آية 4.
(17) - السبزواري، مواهب الرحمن، ج1، ص 163.
(18) - سورة الأنعام الآية1.
(19) - سورة النساء الآية1.
(20) - الدكتور حيدر الشمري، الاستنساخ البشري في القانون والشريعة، رسالة ماجستير.،مرجع سايق ، ص 77.
(21) - سورة الزمر، الآية 62.
(22) - سورة الواقعة، الآية 57 - 59.
(23) - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الجامع الصغير، ج1، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1953، ص 187.
(24) - المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف ص324.
(25) - تيسير احمد، جدل الاستنساخ يعود مجدداً إلى الأوساط الفقهية في سوريا، مجال منشور على مجلة البيان، 2008، يمكن قراءته عبر الرابط التالي:
https://www.albayan.ae/paths/2008-06-13-1.647284
(26) - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، أنوار الفقاهة، ج1 (النكاح)، موسسه تنظيم ونشر آثار امام خمينى، طهران، 2007 (1386هـ.ش)، ص 583.
(27) - الكافي، ج1، ص 160.
(28) - سورة الصافات، آية 96.
(29) - الدكتور حيدر الشمري، مصدر سابق، ص 67
(30) - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مصدر سابق، ص 583.
(31) - سورة الحج، الآية 73.
(32) - سورة الرعد، الآية 16.
(33) - رشيد بن عيسى، الاستنساخ البشري دراسة طبية فقهية قانونية، عمان، الأردن دار النفائس للنشر والتوزيع، 2014، ص 89.
(34) - أحمد مختار عمر، اللغة العربية المعاصر، مادة خلق، يمكن مطالعة تفاصيلها على الرابط:
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/تخليق/
(35) - الدكتور حيدر الشمري، مصدر سابق، ص 69.
(36) - النساء: 119.
(37) - الروم، 30.
(38) - عارف علي عارف القره داغي، مسائل شرعية في الجينات البشرية (سلسة بحوث فقهية في قضايا معاصرة -2-)، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 28.
(39) - علي محمد يوسف المحمدي، بحوث فقهية في مسائل طبية معاصرة، ج1، دار النفائس، الاردن، 2001، ص260.
(40) - كارم السيد غنيم، الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء، دار الفكر العربي، بيروت، 1998، ص 153.
(41) - السيد علي السبزواري، مصدر سابق، ص 87.
(42) - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مصدر سابق، ص 584.
(43) - علي السبزواري، مصدر سابق، ص88.
(44) - السيد علي السبزواري، المصدر السابق، ص 104.
(45) - الدكتور حيدر الشمري، مصدر سابق، ص 78.
(46) - نقلا عن: محمود فخر الدين عثمان وذنون يونس صالح ود.هالة صلاح الحديثي، استنساخ البشري بين الشريعة والقانون(دراسة مقارنة في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية)، بحث منشور في مجلة جامعة كركوك، العدد 2، صفحاته 202-223، 2007، ص5.
(47) - محمود فخر الدين عثمان وذنون يونس صالح ود.هالة صلاح الحديثي، مصدر سابق، ص 5.
(48) - الروم، الآية: 22.
(49) - عارف علي عارف القرة داغي، مصدر سابق، ص 27.
(50) - عزيزة سعيد القرني، الاستنساخ (دراسة فقهية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفقه، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، المملكية العربية السعودية، 1433 هـ، ص 228.
(51) - نظام الدين إبراهيم اوغلو، العوامل المؤثرة على سلوك وشخصية الانسان، مقال منشور على مؤسسة البلاغ على الرابط التالي:

https://www.balagh.com/article/20%العوامل-المؤثرة-على-سلوك-وشخصية-الإنسان/

(52) - محمود فخر الدين عثمان وذنون يونس صالح ود.هالة صلاح الحديثي، مصدر سابق، ص 5.
(53) - عارف علي عارف القرة داغي، مصدر سابق، ص 27.
(54) - عزيزة سعيد القرني، مصدر سابق، ص 228.
(55) - السيد علي السبزواري، مصدر سابق، ص 120.
(56) - د. الشيخ عبدالله أميدي فرد، مصدر سابق، موقع انترنت.
(57) - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مصدر سابق، 586.
(58) - د. محمد حيدر الحبر، الاستنساخ البشري أثره على مقصد حفظ النسل وحكمه الشرعي (دراسة مقاصدية)، بحث منشور على بصورة بي دي اف على الانترنت، ص 16.
(59) - عارف علي عارف القرة داغي، مصدر سابق، ص 30.
(60) - السيد علي السبزواري، مصدر سابق، ص 121.
(61) - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مصدر سابق، ص 586.
(62) - السيد علي السبزواري، مصدر سابق، ص 120.
(63) - السيد علي السبزواري، المصدر السابق، ص 121.
(64) - د. نور الدين مختار الخادمي، الاستنساخ في ضوء الاصول والقواعد والمقاصد الشرعية، دار الزاحم، الرياض، 2001، ص60.

المصادر.

القرآن الكريم

أولا/ كتب الحديث

1- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الجزء 15.
2- محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج1.

ثانيا/ الكتب :

أ- كتب اللغة :

1- أحمد مختار عمر، اللغة العربية المعاصر، مادة خلق، يمكن مطالعة تفاصيلها على الرابط : https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/تخليق /
2- جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة خلق.
3- مرتضى الزبيدي تاج العروس، مادة خلق.
4- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة "خلق."

ب - كتب الفقه :

1- أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (البيهقي)، شعب الايمان، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.
2- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الجامع الصغير، ج1، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1953.
3- الرافعي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج2، المكتبة العلمية، بيروت، 1988.
4- رشيدة بن عيسى، الاستنساخ البشري، دراسة طبية فقهية قانونية، دائر النفائس، عمان، 2014.
5- عارف علي عارف القره داغي، مسائل شرعية في الجينات البشرية (سلسة بحوث فقهية في قضايا معاصرة -2)، دار الكتب العلمية، بيروت.
6- عبد الرؤوف بن المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1990.
7- علي الموسوي السبزواري، الاستنساخ بين التقنية والتشريع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2003.
8- علي محمد يوسف المحمدي، بحوث فقهية في مسائل طبية معاصرة، ج1، دار النفائس، الاردن، 2001.
9- علي محي الدين القرة داغي ود. علي يوسف المحمدي، فقه القضايا الطبية المعاصرة، دابر البشائر الاسلامية، لبنان، 1983.
10- كارم السيد غنيم، الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء، دار الفكر العربي، بيروت، 1998.
11- محمد الربيعي، الوراثة والانسان، عالم المعرفة، الكويت، 1986.
12- ناصر مكارم الشيرازي، أنوار الفقاهة، ج1 (النكاح)، موسسه تنظيم ونشر آثار امام خمينى، طهران، 2007.
13- نور الدين مختار الخادمي، الاستنساخ في ضوء الاصول والقواعد والمقاصد الشرعية، دار الزاحم، بدون مكان نشر، 2001.

ثالثا/ الأطاريح والرسائل:
1- جميلة العقون، موقف الشريعة الاسلامية من الاستنساخ (دراسة فقهية مقارنة)، رسالة ماجستير في العلوم الاسلامية، معهد العلوم الاسلامية في جامعة الشهيد حمه لخضر، الجزائر، 2016-2017.
2- حيدر الشمري، الاستنساخ البشري في القانون والشريعة، رسالة ماجستير.
3- عزيزة سعيد القرني، الاستنساخ (دراسة فقهية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفقه، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، المملكية العربية السعودية، 1433.
رابعا/ البحوث المجلات والانترنت:
1- ايهاب عبد الرحيم محمد، قطع الغيار البشرية، مجلة العربي، العدد 497، نيسان 2000.
2- تيسير احمد، جدل الاستنساخ يعود مجدداً إلى الأوساط الفقهية في سوريا، مجال منشور على مجلة البيان، 2008، يمكن قراءته عبر الرابط التالي:
https://www.albayan.ae/paths/2008-06-13-1.647284
3- كاظم الحائري الحسيني، الاستنساخ البشري، بحث منشور في مجلة فقه اهل البيت، السنة العاشرة، العدد 38، 1426هـ.
4- محمد حيدر الحبر، الاستنساخ البشري أثره على مقصد حفظ النسل وحكمه الشرعي (دراسة مقاصدية)، بحث منشور على بصورة بي دي اف على الانترنت.
5- محمود فخر الدين عثمان وذنون يونس صالح ود.هالة صلاح الحديثي، استنساخ البشري بين الشريعة والقانون(دراسة مقارنة في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية)، بحث منشور في مجلة جامعة كركوك، العدد 2، صفحاته 202-223، 2007.
6- نظام الدين إبراهيم اوغلو، العوامل المؤثرة على سلوك وشخصية الانسان، مقال منشور على مؤسسة البلاغ على الرابط التالي :
https://www.balagh.com/article/العوامل-المؤثرة-على-سلوك-وشخصية-الإنسان%20 /
7- دعوى مشروعية الاستنساخ البشري، موقع بيان الاسلام، على الرابط :
http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=04-03-0030